

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

[مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ] مُخْتَلَفٌ فِيهَا

وَهِيَ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً [نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مُحَمَّدٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾
﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، والمراد بالكتاب السورة، أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها، ثم قال: ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، من القرآن كله، هو: ﴿الْحَقُّ﴾: الذي لا مزيد عليه، لا هذه السورة وحدها، وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلقة^(١) المفرعة، لا يدرى أين طرفاها؟ تريد الكلمة.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِعَمَدٍ تَرْوَاهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ، و﴿وَالَّذِي﴾: خبره؛ بدليل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾، ويجوز أن يكون صفة، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: خبر بعد خبر؛ وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات، ﴿رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِعَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾: كلام مستأنف استشهدا برويتهم لها كذلك، وقيل: هي صفة لعمد، ويعضده قراءة أبي: «ترونها»، وقرئ: «عمد»: بضمين، ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾: يدبر أمر ملكوته وربوبيته، ﴿يُفَصِّلُ﴾: آياته في كتبه المنزلة، ﴿لَعَلَّكُمْ تُوقِنُونَ﴾: بالجزاء، وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه، وقرأ الحسن: «ندبر»: بالنون، ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾: خلق فيها من جميع أنواع الشمرات زوجين زوجين حين مدها، ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت، وقيل: أراد بالزوجين: الأسود والأبيض، والحلو والحامض، والصغير والكبير، وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة، ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾: يلبسه

(١) قوله: «الأنمارية هم كالحلقة» أي في أولادها (ع).

مكانه، فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً، وقرئ: «يغشى»: بالتشديد.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْتَابٍ وَزَرَعَ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَبَّرَ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِدِرٍ وَتَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

﴿قِطْعٌ مُتَجَوِّزَاتٌ﴾: بقاع مختلفة، مع كونها متجاورة متلاصقة، طيبة إلى سبخة، وكريمة إلى زهيدة^(١)، وصلبة إلى رخوة، وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها، مع انتظامها جميعاً في جنس الأرضية؛ وذلك دليل على قادر مريد، موقع لأفعاله على وجه دون وجه، وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع، مختلفة الأجناس والأنواع، وهي تسقى بماء واحد، وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح، متفاضلة فيها، وفي بعض المصاحف: «قطعاً متجاورات» على: وجعل، وقرئ: «وجنات»: بالنصب للعطف على زوجين، أو بالجر على كل الثمرات، وقرئ: «وزرع ونخيل»: بالجر عطفاً على أعناب أو جنات، والصنوان: جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان، وأصلهما واحد، وقرئ بالضم، والكسر: لغة أهل الحجاز، والضم: لغة بني تميم وقيس، ﴿تَشْتَقِي﴾: بالثاء والياء، ﴿وَتَفْضُلٌ﴾: بالنون، وبالياء: على البناء للفاعل والمفعول جميعاً، ﴿فِي الْأَكْلِ﴾: بضم الكاف وسكونها.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَدَا كَأَنَّ تَرْبَاً أَدَا لَفِي خَلْقِي جَدِيدٌ أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلَيْتِكَ الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلَيْتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

﴿وَإِنْ تَعَجَّبْتَ﴾: يا محمد من قولهم في إنكار البعث، فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه؛ لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن، كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره، فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب، ﴿أَدَا كَأَنَّ﴾: إلى آخر قولهم: يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم، وأن يكون منصوباً بالقول، وإذا نصب بما دل عليه قوله: ﴿أَدَا كَأَنَّ لَفِي خَلْقِي جَدِيدٌ﴾، ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾: أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم، ﴿وَأَوْلَيْتِكَ الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ / ١٧٧: وصف بالإصرار؛ كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾؛ ونحوه [من البسيط]:

لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادٌ^(٢)

(١) قوله: «زهيدة» في الصحاح: واد زهيد قليل الأخذ للماء، وأرض زهاد: أي لا تسيل إلا عن مطر كثير (ع).

(٢) ضلوا وإن سبيل الغني مقصدهم لهم عن الرشد أغلال وأقياد

أو هو من جملة الوعيد.

﴿وَيَسْتَعِيبُونَكَ بِالَّذِينَ قَتَلْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠﴾﴾

﴿بِالَّذِينَ قَتَلْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: بالنقمة قبل العافية، والإحسان إليهم بالإمهال؛ وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب؛ استهزاء منهم بإنذارهم، ﴿وَقَدَّ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُنْتَهَى﴾ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، والمثلة: العقوبة: بوزن السمرة، والمثلة لما بين^(١) العقاب والمعاقب عليه من المماثلة، (وجزاء سيئة سيئة مثلها)، ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه، والمثال: القصاص، وقرئ: (المثلات): بضمين لإتباع الفاء العين، «والمثلات»: بفتح الميم وسكون الشاء، كما يقال: السمرة^(٢)، «والمثلات»: بضم الميم وسكون الشاء، تخفيف المثلات بضمين، والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات^(٣)، ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ أي: مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب، ومحله الحال، بمعنى: ظالمين لأنفسهم^(٤) وفيه أوجه: أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر، أو الكبائر بشرط التوبة، أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال، وروي أنها لما نزلت قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدٌ الْعَيْشِ، وَلَوْلَا وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لَأَتَّكَلَّ كُلُّ أَحَدٍ» (٧٩٨).

٧٩٨ - عزاه الزيلعي لابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن المسيب، وللثعلبي في تفسيره وهو مرسل، وللواحدي في تفسيره الوسيط. ينظر «تخريج الكشاف» (١٨٣/٢).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي حاتم والثعلبي من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب: لما نزلت: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ...﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ... فذكره.

- = سبيل الغي: مجاز عما هم عليه من الأحوال الخبيثة. والغل: ما تشد به اليد إلى العنق والقيد للرجلين «وهما مجاز عن الغفلة واتباع رأي النفس». يقول: سلكوا طريق الهوى وتركوا طريق الهدى.
- ينظر: البحر المحيط ٣٥٩/٥، والألوسي ١٠٥/١٣، والرازي: ١٠/١٩.
- (١) قوله: «المثلة لما بين» عبارة النسفي «والمثلة العقوبة لما بين... إلخ» (ع).
- (٢) قوله: «كما يقال السمرة» لعله السمرة والسمرات (ع).
- (٣) قوله: «كركبة وركبات» في الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات وركبات وركبات. وفي هامشه عن مرتضى: أي بسكون الكاف وضما وفتحها، والراء مضمومة فيهن (ع).
- (٤) قال محمود: «ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم... إلخ» قال أحمد: والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد، فإن ظلمه أعني =

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنْ مَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾

﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عناداً، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى، من انقلاب العصا حية، وإحياء الموتى، فقبل لرسول الله ﷺ: إنما أنت رجل أرسلت منذراً ومخوفاً لهم من سوء العاقبة، وناصحاً كغيرك من الرسل، وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوة بها لا تفاوت بينها، والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً^(١) في آيات مخصوصة، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون، فلا يهمنك ذلك؛ إنما أنت منذر، فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم، ولست بقادر عليه، ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء، وهو الله تعالى، ولقد دل بما أردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضاء حكمته أن إعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره: أمر مدير بالعلم النافذ مقدّر بالحكمة الربانية، ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصالحة، لأجابهم إليه، وأما على الوجه الثاني: فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه، هو القادر وحده على هدايتهم، العالم بأي طريق يهديهم، ولا سبيل إلى ذلك لغيره.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأُنْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٨﴾﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾: يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً، وأن يكون المعنى: هو الله؛ تفسيراً لهاد على الوجه الأخير، ثم ابتدئ فقليل: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾، «وما» في (ما تحمل)، (وما تغيض)، (وما تزداد) إما: موصولة، وإما: مصدرية، فإن كانت موصولة، فالمعنى: أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو، من ذكورة وأنوثة، وتمام وخذاج^(٢)، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمتروقة،

= شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة. والزمخشري يبني على عقيدته التي وضع فسادها، في استحالة الغفران لصاحب الكبائر وإن كان موحداً إلا بالتوبة، فيقيد مطلقاً، ويحجر واسعاً، والله الموفق.

- (١) قوله: «ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً» أي سواء، كذا في الصحاح (ع).
 (٢) قوله: «خذاج» في الصحاح: خدجت الناقة خداجاً: ألقت ولدها قبل تمام الأيام، فهي خادج، وهو خديج، وأخذجت: إذا جاءت به ناقص الخلق، فهو مخدج، وهو مخدج اهـ (ع).

ويعلم ما تغيضه الأرحام: أي تنقصه، يقال: غاض الماء وغضته أنا، ومنه قوله تعالى؛ ﴿وَيَغِيضُ أَلْمَاءَهُ﴾ [هود: ٤٤]، وما تزاده: أي: تأخذه زائداً، تقول: أخذت منه حقي، وازددت منه كذا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾، ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد، ومما تنقصه الرحم وتزاده عدد الولد؛ فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة، ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه، ومنه جسد الولد؛ فإنه كان يكون تاماً ومخدجاً، ومنه مدة ولادته؛ فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة، وإلى أربع عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك، وقيل: إن الضحاك ولد لسنتين، وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين؛ ولذلك سمي هرماً، ومنه الدم؛ فإنه يقل ويكثر، وإن كانت مصدرية، فالمعنى: أنه يعلم حمل كل أنثى، ويعلم غيوض الأرحام وازديادها، لا يخفى عليه شيء من ذلك، ومن أوقاته وأحواله، ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته، فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها، على أن الفعلين غير متعديين؛ ويعضده قول الحسن: الغيوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك، والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر، وعنه: الغيوض الذي يكون سقطاً لغير تمام، والازدياد ما ولد لتمام، ﴿بِمَقْدَارٍ﴾: بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه؛ كقوله: ﴿إِنَّا كَلَّمْنَا نَحْنُهُ يَقْدِرُ ۝﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿الْكَبِيرِ﴾: العظيم الشأن الذي كل شيء دونه، ﴿تَمْتَعَالٍ﴾: المستعلي على كل شيء بقدرته، أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها.

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝﴾
 لَهُ مُعَقِّبَةٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّىٰ
 يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝﴾

﴿وَسَارِبٌ﴾: ذاهب في سره - بالفتح - أي: في طريقه ووجهه، يقال: سرب في الأرض سروباً، والمعنى: سواء عنده من استخفى: أي طلب الخفاء في مختبئ بالليل: في ظلمته، ومن يضطرب في الطرقات ظاهراً بالنهار يبصره كل أحد/ ١٧٧ب.

فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار^(١)، حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب، وإلا فقد تناول واحداً هو

(١) قال محمود: «إن قلت كان من حق الكلام أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار... إلخ» قال أحمد: فمقتضى السؤال الذي أورده الزمخشري أن تكون الواو عاطفة لإحدى الصفتين على الأخرى، ومقتضى ما أجاب به أن يعطف أحد الموصوفين على الآخر، وتحتل الآية وجهاً آخر: وهو أن يكون الموصول محذوفاً وصلته باقية. والمعنى: ومن هو مستخف بالليل ومن =

مستخف وسارب.

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أن قوله: (وسارب): عطف على (من هو مستخف)، لا على (مستخف).
والثاني: أنه عطف على (مستخف)؛ إلا أن (من): في معنى الاثنين؛ كقوله [من الطويل]:

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذُئْبُ يَضْطَحِبَانِ^(١)

كأنه قيل: سواء منكم اثنان: مستخف بالليل، وسارب بالنهار، والضمير في ﴿لَهُ﴾: مردود على (من)؛ كأنه قيل: لمن أسرّ ومن جهر، ومن استخفى ومن سرب، ﴿مُؤَبَّتٌ﴾: جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته، والأصل: معتقبات، فأدغمت التاء في القاف؛ كقوله: ﴿وَجَاءَ الْمَعْذُرُونَ﴾ [التوبة: ٩٠]، بمعنى: المتعذرون،

= هو سارب بالنهار، وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع، وخصوصاً وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثاً، ومنه قوله تعالى ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ والأصل: ولا ما يفعل بكم، وإلا كان حرف النفي دخيلاً في غير موضعه؛ لأن الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الأول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع، وإنما صحب في الأول الموصول لا الصلة. ومنه [من الوافر]:

فمن يهجو رسول الله منكم
أي ومن يمدحه وينصره، والله أعلم
فبت أقد الزاد بينني وبينه (١)
فقلت له لما تكشر ضاحكاً
وقائم سيفي من يدي بمكان
تعال فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من ياذب يصطحبان
أأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيين كانا أرضعا بلبان؟

للفرزدق، يصف ذئباً أتاه في مفازة فبات يقطع الزاد ويقسمه بينه وبينه، حال كونهما مشرفين على ضوء نار تارة وعلى دخانها أخرى، دلالة على تكرر إيقادها. وتكشر: أبدى أنيابه كالضاحك. وقائم سيفي: أي والحال أن مقبض سيفي بمكان عظيم من يدي، دلالة على الحرص والجرأة. تعال: أي أقبل إلي نتعاهد. ويروى تعش أي كل العشاء، فإن عاهدتني بعد ذلك والتزمت أنك لا تخونني: نكن مثل من يصطحبان يا ذئب. ومعنى «من» مثني، فعاد عليه الرابط كذلك. والنداء: اعتراض بين الصلة والموصول. وأنت: استفهام توبيخي. وتكرير النداء فيه نوع توبيخ أيضاً. وأخيين: مصغر أخوين. واللبان: لبن المرأة خاصة. شبه الذئب والغدر بتوءمين نشأ معاً من صفرهما ترضعهما أم واحدة، دلالة على كمال التلازم والتألف. وتسمية الذئب امرأ، مبنية على تنزيله منزلة العاقل المصحح لخطابه. وشبههما بالأخوين من نوع الإنسان، كما دل على ذلك لفظ اللبان؛ لأن التألف فيه أكمل وأظهر منه في غيره.

ينظر: ديوانه (٦٢٨)، والكتاب ٤١٦/٢، وابن الشجري ١١٣/٢، والخصائص ٤٢٢/٢، والعيني ٤٦١/١، والهمع ٨٧/١، وابن يعش ١٣٢/٢، ١٣٤، والأشموني ١٥٧/١، والمحتسب ١/٢١٩، ١٤٥/٢، والجمل (٣٤٣)، والدرر ٦٤/١ - ٦٥، والمغني (٤٠٤)، وارتشاف العزب ١/٥٣٩، وربة الآمل ٥٥/٤، والدر المصون ٦٥/٢.

ويجوز «معقبات»؛ بكسر العين ولم يقرأ به^(١)، أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه، كما يقال: قفاء؛ لأن بعضهم يعقب بعضاً، أو: لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه، ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾: هما صفتان جميعاً^(٢)، وليس (من أمر الله): بصلة للحفظ، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله، أي: من أجل أن الله أمرهم بحفظه، والدليل عليه قراءة علي - رضي الله عنه - وابن عباس، وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله»، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب، بدعائهم له ومساءلتهم ربهم أن يمهلهم رجاء أن يتوب وينيب؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، وقيل: المعقبات الحرس والجلالوة^(٣) حول السلطان، يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله، أي: من قضاياه ونوازلها، أو على التهكم به، وقرئ: «له معاقب»: جمع معقب أو معقبة، والياء عوض من حذف إحدى القافين في التكرير^(٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: من العافية والنعمة، ﴿حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأْسِهِمْ﴾: من الحال الجميلة بكثرة المعاصي، ﴿مِنْ رَأْيِ﴾: ممن يلي أمرهم، ويدفع عنهم.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢) وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١٣﴾

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾: لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما^(٥)؛ لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا وَهُمْ فَاحِشٌ. لا تدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء، لا من كلمة ولا من كلمتين. وقد نُصِّصَ التصريفيون على أن القاف والكاف كل منهما يدغم في الآخر، ولا يدغمان في غيرهما، ولا يدغم غيرهما فيهما. وأما تشبيهه بقوله: «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ» فلا يتعين أن يكون أصله المعتدرون، وقد تقدم توجيهه وأنه لا يتعين ذلك فيه. وأما قوله: «ويجوز» معقبات بكسر العين فهذا لا يجوز، لأنه بناه على أن أصله: معقبات فأدغمت التاء في القاف، وقد بينا أن ذلك وهم فاحش. انتهى. الدر المصون.

(٢) عاد كلامه، ومعنى قوله ﴿لَمْ تُغَيِّرْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ بِحَفْظِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿﴾ هما صفتان جميعاً وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له... إلخ قال أحمد: وحقيقة هذا الوجه أنهم يحفظونه من الأمر الذي علم الله أنه يدفعه عنه بسبب دعائهم. ولولا هذا السبب لكان في علم الله أن النعمة تحل عليه؛ لأن الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، وسع ربنا كل شيء علماً.

(٣) قوله: «والجلالوة» في الصحاح «الجلواز» الشرطي، والجمع الجلالوة (ع).

(٤) قال السمين الحلبي: ويوضح هذا ما قاله ابن جني فإنه قال: معاقب تكرر معقِب كـ«مطعم، ومطاعيم، ومُقدم، ومقاديم» فكان «مُعقِباً» جمع على مَعَاقِبِهِ، ثم جعلت الياء في «مَعَاقِبِ» عوضاً من الهاء المحذوفة في «مَعَاقِبَةٍ». انتهى. الدر المصون.

(٥) قال محمود: «خَوْفًا وَطَمَعًا لا يصح أن يكون مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل... إلخ» قال أحمد: أو مفعولاً لهما، على أن المفعول له في مثل هذا الفعل فاعل في المعنى، لأنه إذا أراهم فقد رأوا،

المعلل إلا على تقدير حذف المضاف، أي: إرادة خوف وطمع، أو على معنى إخافة وإطعاماً، ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق، كأنه في نفسه خوف وطمع، أو على: ذا خوف وذا طمع، أو من المخاطبين، أي: خائفين وطماعين، ومعنى الخوف والطمع: أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق، ويطمع في الغيث؛ قال أبو الطيب: [الطويل]

فَتَى كَالسَّحَابِ الْجُونِ تُخْشَى وَتُرْتَجَى وَيُرْجَى الْحَيَا مِنْهَا وَيُخْشَى الصَّوَاعِقُ^(١)

وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر، كالمسافر، ومن له في جريته التمر والزبيب، ومن له بيت يكف^(٢)، ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر، ويطمع فيه من له فيه نفع، ويحيا به، ﴿السَّحَابُ﴾: اسم الجنس، والواحدة سحابة، و﴿الثَّقَالُ﴾: جمع ثقيلة؛ لأنك تقول: سحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كرام، وهي الثقال بالماء، ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾: ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له، أي: يضحجون بسبحان الله والحمد لله، وعن النبي ﷺ أنه كان يقول: «سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ» (٧٩٩) وعن علي - رضي الله عنه -: سبحان من سبحت له، وإذا اشتد الرعد، قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ» (٨٠٠)، وعن ابن عباس أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد ما هو؟ فقال: «مَلَكٌ

٧٩٩ - أخرجه الطبري (٣٦٠/٧) رقم (٢٠٢٦٠)، والبخاري في كتاب الأدب المفرد رقم (٧٢٢)، وعزاه الزيلعي للطبراني في كتاب الدعاء موقوفاً على كعب بن مالك، وللثعالبي عن أبي عن النبي ﷺ من غير سند.

وقال الحافظ في تخریج الكشاف:

أخرجه الطبري من رواية إسرائيل عن ليث عن رجل عن أبي هريرة رفعه، «أنه كان إذا سمع الرعد قال: سبحان من يسبح الرعد بحمده» ورواه البخاري في الأدب المفرد، موقوفاً على كعب بن مالك. انتهى.

٨٠٠ - أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٢١٢) رقم (٧٢٨)، والثرمذي (٥٠٣/٥) كتاب =

= والأصل: وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً، أي: ترقبونه وتتراؤونه، تارة لأجل الخوف وتارة لأجل الطمع، والله أعلم.

(١) يقول: هو فتى شجاع جواد، يخشى شره، ويرجى خيره، فهو كالسحاب الأسود. والجون: الأسود؛ ويطلق على الأبيض. ورواه ابن جني بالضم ليكون جمعاً، أي السود المظلمات؛ لأن السحاب جمع في المعنى. يرتجي الحياء: أي المطر، منها. ونخسى صواعقها، وهي قطع النار التي تنزل منها.

ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، والعمدة ٣٨/١، والبحر ٣٦٦/٥، والرازي ٣٧٣/٥، والمحزر الوجيز ٣٦٤/٩، والدر المصون ٣٣٤/٤.

(٢) قوله: «ومن له بيت يكف» وكف البيت يكف: قطر يقطر، كذا في الصحاح (ع).

مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقٌ^(١) مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السُّحَابَ» (٨٠١)، وعن الحسن: خلق من خلق الله ليس بملك، ومن بدع المتصوفة: الردع صعقات الملائكة، والبرق: زفرات أفئدتهم، والمطر: بكاؤهم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾: ويسبح الملائكة من هيئته وإجلاله، ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده، وما دل على قدرته الباهرة ووجدانيته ثم قال: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: الذين كفروا، وكذبوا رسول الله، وأنكروا آياته، ﴿يُحَدِّثُونَ فِي اللَّهِ﴾؛ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: ﴿مَنْ يُعَيِّ أَلْعَظَمَ وَهِيَ رَيْبٌ﴾ [يس: ٧٨]، ويردّون الوجدانية باتخاذ الشركاء والأنداد، ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم: ﴿الملائكة بنات الله﴾ فهذا جدالهم بالباطل؛ كقولهم: ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، وقيل: الواو للحال، أي: فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم؛ وذلك أنّ أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله ﷺ حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله، فرمى الله عامراً بغدّة كغدّة البعير^(٢)، وموت في بيت سلولية، وأرسل على أربد صاعقة فقتلته؛ :

 = الدعوات: باب ما يقول إذا سمع الردع حديث (٣٤٥٠)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٤١٧/٥)، وأحمد (١٠٠/٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٠٣)، والدولابي في «الكنى» (١١٧/٢)، وأبو يعلى (٣٨٠/٩ - ٣٨١) رقم (٥٥٠٧) من طريق أبي مطر عن سالم عن أبيه به.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد وأبو يعلى والحاكم من رواية: الحجاج بن أرطاة عن أبي مضر عن ابن عبد الله عن أبيه قال الترمذي: غريب. انتهى.

٨٠١ - أخرجه الترمذي (٢٩٤/٥) كتاب التفسير: باب ومن سورة الردع حديث (٣١١٧)، والنسائي كما في الكبرى؛ كما في تحفة الأشراف (٣٩٤/٤)، وأحمد (٢٧٤/١)، وابن منده في التوحيد (١/١٦٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٦٥) من طريق بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبكير بن شهاب قال الحافظ: مقبول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد من رواية بكر بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: أخبرنا يا أبا القاسم عن الردع. فذكره - وزاد: قالوا: فما هذا الصوت قال: زجره للسحاب قالوا: صدقت»، وفي الطبراني والأوسط من رواية أبي عمران الكوفي عن ابن جريج وعن عطاء عن جابر أن خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري «سأل النبي ﷺ عن الردع. فقال: هو ملك بيده مخراق إذ رفع برق وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت». انتهى.

(١) قوله: «معه مخاريق من نار» في الصحاح المخراق: مندبل يلف ليضرب به (ع).

(٢) قوله: «بغدّة كغدّة البعير» في الصحاح: غدة البعير: طاعونه (ع).

أخبرنا عن ربنا، أمن نحاس هو أم من حديد؟ ﴿الْمَحَالِ﴾: المماحلة، وهي شدة المماكرة والمكايدة، ومنه: تحمل لكذا، إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان، ومنه الحديث: وَلَا تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاجِلًا مُصَدِّقًا (٨٠٣)؛ وقال الأعشى: / ١٧٨ أ [من الخفيف]:

فَرَعٌ نَبَعٍ يَهْشُ فِي عُصْنِ الْمَجْجِ بِدِ عَزِيرِ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ (١)

٨٠٢ - أخرجه النسائي في تفسيره (٦١١/١) تفسير سورة الرعد، والطبري في تفسيره (٨٤/١٣) والطبراني في الأوسط (٢٨٦/٣) رقم (٢٦٢٣)، والواحدي في الأسباب (٢٠٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/٢٣٢ - ٢٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (٨٩/٦) رقم (٣٣٤٢)، ولم يسق لفظه كلهم من حديث ابن أبي سارة عن ثابت عن أنس.
وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٨٧/٦ - ٨٨) رقم (٣٣٤١)، والبزار في كشف الأستار رقم (٢٢٢١)، والبيهقي في الدلائل (٢٨٣/٦)، وابن أبي عاصم في السنة رقم (٦٩٢)؛ كلهم من طريق ديلم بن غزوان عن ثابت عن أنس - به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢/٧) ورواه أبو يعلى والبزار بنحوه، إلا أنه قال: «إلى رجل من فرائعة العرب...» وينحو هذا رواه الطبراني في الأوسط، وزاد السيوطي نسبه في الدر المنثور (٥٢/٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن أنس بن مالك - به.
وللحديث شاهد أخرجه الطبري (٨٤/١٣).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه الطبراني وابن مردويه عنه من رواية زيد بن أسلم عن عطاء عنه: «أن أربد بن قيس وعامر ابن الطفيل قدما المدينة - فذكر الحديث مطولاً»، وأخرجه النسائي والطبري والعقيلي، وأبو يعلى من رواية علي بن أبي سارة عن ثابت عن أنس قال: «بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى رجل من خزاعة العرب فقال: ادعه قال: يا رسول الله، هو أخي من ذلك. قال: اذهب فادعه. فأتاه. فقال: إن رسول الله ﷺ يدعوك. قال: وما الله؟ أمن ذهب هو أو من فضة، أم من نحاس - الحديث. وفيه: فأنزل الله تعالى: ﴿وِيرْسِلُ السُّورَاتِ... الآية﴾، قال العقيلي: لا مانع على حديثه إلا ممن هو دونه. وقد رواه البزار والبيهقي في الدلائل من رواية ديلم بن غزوان عن ثابت بنحوه. انتهى.

٨٠٣ - قال الزيلعي: غريب بهذا اللفظ والذي وجدته في الحديث المرفوع: «القرآن شافع مشفع، وما حل مصدق»، روي من حديث جابر وأنس، وعن معقل بن يسار ومن حديث ابن مسعود.
فحديث جابر: أخرجه ابن جبان (٣٣١/١) حديث رقم (١٢٤)، والبزار (٧٨/١) رقم (١٢٢).
وحديث معقل بن يسار ذكره الهيثمي (١٧٤/١)، وحديث ابن مسعود: أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤)، الطبراني في المعجم الكبير (١٤١/٩) رقم (٨٦٥٥)، عبد الرزاق في المصنف (٣/٣٧٢) رقم (٦٠١٠)، والبزار كما في كشف الأستار (٧٧/١) رقم (١٢١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: قلت: الذي من الحديث والقرآن شافع وما حل مصدق. أخرجه ابن جبان من رواية أبي سفيان عن جابر والحاكم من حديث معقل بن يسار، والطبراني من حديث ابن مسعود عن أنس. أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن. انتهى.

(١) فرع كل شيء أعلاه. والنبع: شجر تتخذ منه القسي. والهش من كل شيء: ما فيه رخاوة وليونة. =

والمعنى: أنه شديد المكر والكيد لأعدائه، يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون، وقرأ الأعرج بفتح الميم، على أنه مفعول، من حال يحول محالاً إذا احتال، ومنه: أحول من ذئب، أي: أشد حيلة، ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقار^(١)، ويكون مثلاً في القوة والقدرة كما جاء: فساعد الله أشد، وموساه أحد؛ لأن الحيوان إذا اشتد محاله، كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره؛ ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواقر؟ وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه^(٢).

﴿لَمْ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَثِيرٍ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغٍ وَمَا دُعَاؤُ الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق^(٣) الذي هو نقيض الباطل، كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق؛ للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق المختصة به، وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى: أن الله - سبحانه - يدعى فيستجيب الدعوة، ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له، فكانت دعوة ملابسة للحق؛ لكونه حقيقة بأن يوجه إليه الدعاء؛ لما في

= هـش إليه، من باب تعب وضرب: ضحك وانبسط إليه، أي هو كفرع النبع في العلو وللصلاية في الحروب. وشبه المجد بشجرة طيبة على طريق المكنية، فإضافة الغصن إليه تخييل لذلك. ويحتمل أنه شبه قومه بأغصان الشجرة المثمرة على طريق التصريحية، وإضافتها للمجد قرينة على ذلك. وفيها دلالة على أن المجد منهم كالثمر من الأغصان، غزير الندى كثير العطاء شديد المحال، أي المماثلة والمكايده، وهو كالتفسير للتشبيه الأول، وغزير الندى كالتفسير للثاني، وهو من بديع الكلام.

ينظر: البيت في ديوانه (١٤١)، ومجاز القرآن ١/٣٢٥، واللسان (محل)، والطبري ١٦/٤٩٥، والقرطبي ٩/١٩٧، وروح المعاني ١٣/١٢٣، وجمهرة أشعار العرب ١/٢٢٢، والتهديب ٥/٩٢، والدر المصون ٤/٣٣٤.

(١) قوله: «ويجوز أن يكون المعنى شديد الفقار» في الصحاح: والمحالة أيضاً: الفقارة، وفيه «الفقارة» واحدة فقار الظهر (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا الوجه الثاني لا يظهر، لأن مآله إلى تقدير: لله دعوة الله، كما تقول: «لزبد دعوة زيد». وهذا التركيب لا يصح. قال السمين: وأين هذا مما قاله الزمخشري حتى يرد عليه به؟ انتهى. الدر المصون.

(٣) قال محمود: «فيه وجهان: أحدهما أن تضاف الدعوة إلى الحق... إلخ» قال أحمد: دس تحت تأويل الأول نبذة من الاعتزال على وجه الاختزال. فحجر واسعاً من لطف الله واستجابته أدعية عباده، وحتم رعاية المصالح، وجعل معنى إضافة الدعوة إلى الحق التباسها بالمصلحة، وقد انكشف الغطاء وتبين أن الله تعالى لا تعلق أفعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور، وغرضنا إيقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها إلى بدعة وضلالة، والله الموفق.

دعوته من الجدوى والنفع، بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه.

والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله - عز وعلا - على معنى: دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب، وعن الحسن: الحق هو الله، وكلّ دعاء إليه دعوة الحق. فإن قلت: ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله^(١)؟

قلت: أما على قصة أريد فظاهر؛ لأن إصابته بالصاعقة محال من الله، ومكرّ به من حيث لم يشعر، وقد دعا رسول الله ﷺ على صاحبه بقوله: «اللَّهُمَّ أَخْسِفْهُمَا بِمَا شِئْتَ» فَأُجِيبَ فِيهِمَا (٨٠٤)، فكانت الدعوة دعوة حق، وأما على الأول: فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم، وإجابة دعوة رسول الله ﷺ أن دعا عليهم فيهم، ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوهم الكفار، ﴿مَنْ﴾: دون الله، ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾: من طلباتهم، ﴿إِلَّا كِبَيْتُ كَيْتَهُ﴾: إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه، أي: كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه؛ وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم، ولا يستطيع إجابتهم، ولا يقدر على نفعهم، وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه، فبسطهما ناشراً أصابعه، فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه.

وقرى: «تدعون»: بالياء، كباسط كفيه، بالتنوين، ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: إلا في ضياع لا منفعة فيه؛ لأنهم إن دعوا الله لم يجيبهم، وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وظَلْمًا لَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ ﴿١٥﴾

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله، شاؤوا أو أبوا، لا يقدر أن يمتنعوا عليه، وتنقاد له، ﴿وظَلْمًا لَهُمْ﴾: أيضاً؛ حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص، والفيء والزوال، وقرئ: «بالغدو والإيصال»: من أصلوا: إذا دخلوا في الأصل.

٨٠٤ - قال الزيلعي: ذكره الواحدي في أسباب النزول حديث أريد وعامر عن ابن عباس من غير سند.

وينظر «تخريج الكشاف» (١٨٨/٢ - ١٨٩).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

ذكره الواحدي في الأسباب عن ابن عباس في القصة المذكورة. ولم أره فيها من الطريقتين المتقدمتين عن رواية الكلبي وغيره. انتهى.

(١) قوله: «اتصال هذين الوصفين بما قبله» عبارة النسفي: واتصال ﴿شَدِيدُ الْحَالِ﴾ و﴿لَهُ دَعْوَةُ الْمَرْقُ﴾ بما قبله (ع).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَالِقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: حكاية لاعترافهم، وتأكيده عليهم، لأنه إذا قال لهم: من رب السموات والأرض، لم يكن لهم بد من أن يقولوا: الله؛ كقوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٦ - ٨٧]، وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك، فإذا قال: هذا قلبي، قال: هذا قولك، فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه، ثم يقول له: فيلزموك على هذا القول كيت وكيت، ويجوز أن يكون تلقيناً، أي: إن كعوا عن الجواب^(١) فلقنهم؛ فإنهم يتلقنونه ولا يقدر أن ينكروه، ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء، فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم، وإقراركم سبب الإشراك، ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً، فكيف يستطيعونه لغيرهم، وقد آثرتهم على الخالق الرازق الميثيب المعاقب؟ فما أبين ضلالتكم! ﴿أَمْ جَعَلُوا﴾: بل اجعلوا، ومعنى الهمزة: الإنكار^(٢)، و﴿خَلَقُوا﴾: صفة لشركاء، يعني: أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله، ﴿فَتَشَبَّهُ﴾: عليهم خلق الله وخلقهم، حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه، فاستحقوا العبادة، فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد، إذ لا فرق بين خالق وخالق؛ ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدر على ما يقدر عليه الخلق، فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾:

(١) قوله: «أي: إن كعوا عن الجواب» أي امتنعوا جبناً أو احتبسوا. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال محمود: «أم مقدره ببل والهمزة ومعناها ههنا الإنكار... إلخ» قال أحمد: وفي قوله تعالى ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ في سياق الإنكار تهكم بهم؛ لأن غير الله لا يخلق خلقاً ألبتة، لا بطريق المشابهة والمساواة لله - تقدر عن التشبيه - ولا بطريق الانحطاط والقصور، فقد كان يكفي في الإنكار عليهم أن الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقاً، ولكن جاء في قوله تعالى (كخلفه) تهكم يزيد الإنكار تأكيداً. والزمخشري لا يطبق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من أن تستر عنه؛ لأن معتقده أن غير الله يخلق وهم العبيد يخلقون أفعالهم على زعمه، ولكن لا يخلقون كخلق الله؛ لأن الله تعالى يخلق الجواهر والأعراض، والعبيد لا يخلقون سوى أفعالهم لا غير. وفي قوله عز من قائل ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ إلقاء لأفواه المشركين الأولين، ثم لأفواه التابعة لهم في هذه الضلالة كالقدرة، فإن الله تعالى بت هذه ألبتة أن كل شيء يصدق عليه أنه مخلوق جوهرأ كان أو عرضاً، فعلاً لعبيده أو غيره، فالله خالقه، فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك إلا عند كل أئيم أفك، يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرأ فبشره بعذاب أليم، فلأمر ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه، والله الموفق.

لا خالق غير الله، ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق، فلا يكون له شريك في العبادة، ﴿وَهُوَ الْوَّاحِدُ﴾: المتوحد بالربوبية، ﴿الْقَهَّارُ﴾: لا يغالب، وما عداه مربوب ومقهور.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ بَثَلٍ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾

هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء، فتسيل به أودية الناس، فيحيون به، وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به^(١) في صوغ الحلبي منه، واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأن ذلك / ١٧٨ ب ماكث في الأرض، باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه، وتبقى آثاره في العيون والبثار والجبوب، والشمار التي تنبت به مما يذخر ويكثر، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب.

فإن قلت: لم نكرت الأودية؟

قلت: لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع، فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿بِقَدَرِهَا﴾؟

قلت: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [الرعد: ١٧]؛ لأنه ضرب المطر مثلاً للحق، فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع، خالياً من المضرة، ولا يكون كبعث الأمطار والسيول الجواحف^(٢).

فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾: قلت: الفائدة فيه كالفائدة بقوله (بقدرها)، لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾؛ لأن المعنى: وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الإنتفاع مما يوقد عليه ويذاب، وهو الحلبي والمتاع، وقوله: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾: عبارة جامعة لأنواع الفلز، مع

(١) قوله: «وبالفلز الذي ينتفعون به»، في الصحاح «الفلز» بالكسر وتشديد الزاي: ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الأرض اهـ فليحرر، ولعله ما يقيه الكير... إلخ (ع).

(٢) قوله: «السيول الجواحف» في الصحاح «سيل جحاف» بالضم: إذا جرف كل شيء وذهب به (ع).

إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به، كما هو هجيري الملوك؛ نحو ما جاء في ذكر الأجر: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَهْنَدُنْ عَلَى الطَّيْنِ﴾ [القصص: ٣٨]، و«من» لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ زيد مثل زيد الماء، أو للتبويض بمعنى: وبعضه زبداً رابياً منفخاً مرتفعاً على وجه انسيال، أي: يرمى به، وجفأت القدر بزبدها، وأجفاً السيل وأجفل، وفي قراءة رؤية بن انعجاج: «جفلاً»، وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤية؛ لأنه كان يأكل الفأر، وقرئ: «يوقدون»: بالياء، أي: يوقد الناس.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحَسَنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِثِينَ﴾

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾: اللام متعلقة بيضرب، أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا، وللكافرين الذين لم يستجيبوا، أي: هما مثلاً الفريقين، و﴿الْحَسَنَىٰ﴾: صفة لمصدر استجابوا، أي: استجابوا الاستجابة الحسنى، وقوله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾: كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين، وقيل: قد تم الكلام عند قوله: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]، وما بعده كلام مستأنف، والحسنى: مبتدأ، خبره: (للذين استجابوا)، والمعنى: لهم المثوبة الحسنى، وهي الجنة، و﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾: مبتدأ خبره: «لو» مع ما في حيزه و﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾: المناقشة فيه، وعن النخعي: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُولُوا الْأَلْبَابِ﴾

دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾؛ لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم، ﴿إِنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾: فاستجاب؛ بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب، كبعد ما بين الزبد والماء، والخبث والإبريز، ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَتُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: الذين عملوا على قضايا عقولهم؛ فنظروا واستبصروا.

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ ۖ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ﴾ ٢٠ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ۚ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ ٢١ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٢ ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ٢٣ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ٢٤

﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ : مبتدأ، و﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْإِيمَانُ﴾ : خبره؛ كقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ عَهْدَ اللَّهِ... أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْإِيمَانُ﴾ [الرعد: ٢٥]، ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب، والأول أوجه، وعهد الله: ما عقده على أنفسهم من الشهادة بربوبيته، ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الرعد: ٢٠]. ﴿وَلَا يَتَّقُونَ إِلَهَ إِلَّا﴾ : ولا يتقون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان بالله وغيره من الموثائق بينهم وبين الله وبين العباد، تعميم بعد تخصيص، ﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ : من الأرحام والقربات، ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ : بالإحسان إليهم على حسب الطاقة، ونصرتهم، والذب عنهم، والشفقة عليهم، والنصيحة لهم، وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم، وإفشاء السلام عليهم، وعبادة مرضاهم، وشهود جنازتهم، ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر، وكل ما تعلق منهم بسبب، حتى الهرة والدجاجة، وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل خراسان، قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم، واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ أي: يخشون وعبيده كله، ﴿وَيَخَافُونَ﴾ : خصوصاً ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾ : فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا، ﴿صَبْرًا﴾ : مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف، ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ : لا ليقال: ما أصبره وأحمله للنوازل، وأوقره عند الزلازل، ولا لثلا يعاب بالجزع، ولثلا يشمت به الأعداء؛ كقوله [من الطويل]:

وَتَجَلْدِي لِلشَّامِيِّينَ أَرِيهِمْ (١)

ولا لأنه لا طائل تحت الهلع، ولا مرذ فيه للفئات؛ كقوله [من مجزوء الكامل]:

(١) وإذا المنية أنشبت أظفارها الفيت كل تميمة لا تنفع
وتجلدي للشاميين أريهم أني لربب الدهر لا أتضعضع

لأبي ذؤيب خويلد بن خالد المخزومي، يرثي بنه. روي أن معاوية مرض، فعاده الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: كحلوني وأبسوني عمامتي، وأظهر القوة وأنشد له البيت الثاني، فأجابه الحسن بغته بالأول. وشبه المنية بالسبع على طريق المكنية. وإنشأ الأظفار: تخيل. ومني له: قدر له. والمنية: الموت لأنه مقدر. وإنشأ: الغرز والتعليق. الفيت: أي وجدت كل تميمة لا تنفع، وهي ما يعلق على الولدان خوف الجن والحسد. وتجلدي: أي تصبري وتصلبي. مبتدأ. وأريهم: خبره، أي أظهر لهم به أني لا أتضعضع وأضعف لأجل ريب الدهر، أي حدثانه الطارئ من حيث لا أشعر.

ينظر: شرح أشعار الهذليين (ص ١٠)، لسان العرب (ضعع)، مقاييس اللغة (٣/ ٣٥٥)، كتاب العين (١/ ٧٢)، مجمل اللغة (٣/ ٢٧٦)، تاج العروس (ضعع).

مَا إِنْ جَزَعْتُ وَلَا هَلَفْتُ وَلَا يَرُدُّ بَكَايَ زُنْدًا^(١)

وكل عمل له وجوه يعمل عليها، فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسناً عند الله، وإلا لم يستحق به ثواباً، وكان فعلاً كلا فعل، ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ / ١٧٩: من الحلال؛ لأنّ الحرام لا يكون رزقاً^(٢)، ولا يسند إلى الله^(٣)، ﴿مِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾: يتناول النوافل؛ لأنها في السر أفضل، والفرائض؛ لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة، ﴿وَيَذَرُونَهُمْ يَلْحَسِنَهُ أَلَيْسَتْ﴾: ويدفعونها، عن ابن عباس: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم، وعن الحسن: إذا حرموا أعطوا، وإذا ظلموا عفوا، وإذا قطعوا وصلوا، وعن ابن كيسان: إذا أذنبوا تابوا، وقيل: إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره، ﴿عُقِيَ الْأَدَارِ﴾: عاقبة الدنيا، وهي:

(١)	ليس الجمال بمنزور	فاعلم وإن رديت بردا
	إن الجمال معادن	ومناقب أورثن مجدا
	أعددن للحدثان ما	بقية وعداء علندي
	نهداً وإذا شطب يقد	البييض والأبدان قدا
	كم من أخ لي صالح	برأته بيدي لحدا
	ما إن هلمت ولا جز	عت ولا يرد بكاي زندا

لعمر بن معد يكرب. يقول: ليس الجمال بفاخر الثياب. وفاعلم: اعتراض. والخطاب لغير معين، أي ليس كذلك وإن ألبستها والبرد، ثوب سابغ يرتدي به إن الجمال خصال حميدة أكتسبت أصحابها الشرف. والحدثان: مكروه الدهر المنقلب. والسابغة الدرع، وكانت له درع من ذهب. والعداء: الفرس الكثير العدو. والعلندي - بالفتح -: الغليظ الشديد السريع. وشيء علند: صلب - واعلندي البعير: اشتد. والنهد: الضخم الطويل. والشطب - بالضم -: طرائق السيف. والأبدان: الدروع القصيرة، وإذا قطع البيضة والبدن مع أنهما من الحديد، قطع غيرهما بالأولى: مدح نفسه بالشجاعة، ثم بالصبر فقال: كثير من إخواني أنزلتهم للحدود بيدي، ومع ذلك ما جزعت لا قليلاً ولا كثيراً فإن زائدة. والهلع: شدة الجزع. وفي الحديث «من شر ما أوتي العبد: شح هالع، وجبن خالع» أي يهلع فيه وكأنه يخلع فواده. وتزند فلان. ضاق بالجواب وغضب. والمزند: مثل في الشيء. ويقال للحقير: زندان في مرقعة، فالزند: الشيء الحقير. ويروي: زيداً، بالياء، على أنه زيد بن الخطاب أخو عمر رضي الله عنه، كان صديقاً له في الجاهلية. ويروي: وهل يرد بكائي؟ أي: لم أجزع، لعلمي أنه لا ينفع.

ينظر: ديوانه (ص ٨٢)، حماسة البحري ص (١٢٨)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص (١٧٩).

(٢) قوله: «لأن الحرام لا يكون رزقاً» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فيكون رزقاً كالحلال (ع).

(٣) قال محمود: «المراد مما رزقناهم من الحلال، لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى الله تعالى» قال أحمد: الحق أن لا رازق إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ كما أنه لا خالق إلا الله ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ﴾ فإذا اقتضى العقل والسمع جميعاً أن لا رازق إلا الله فأى مقال بعد ذلك يبقى للقدري الزاعم أن أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لأن الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه نبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون.

الجنة؛ لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها^(١)، و﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾: بدل من عقبى الدار، وقرئ: «فَنَعَم»: بفتح النون، والأصل: نعم، فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها، ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل، وقرئ: (يدخلونها): على البناء للمفعول، وقرأ ابن أبي عبيدة (صلح): بضم اللام، والفتح أفصح، أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة، وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم؛ فكانه قيل: من آباؤهم وأمهاتهم، ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ﴾: في موضع الحال؛ لأن المعنى: قائلين سلام عليكم، أو مسلمين.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم، يعنون: هذا الثواب بسبب صبركم، أو بدل ما احتملتكم من مشاق الصبر، ومتاعبه هذه الملاذ والنعم، والمعنى: لئن تعبتكم في الدنيا لقد أسترحتم الساعة؛ كقوله [من الطويل]:

بِمَا قَدْ أَرَى فِيهَا أَوَانَسَ بُدْنًا^(٢)

وعن النبي ﷺ أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»^(٣) (٨٠٥) ويجوز أن يتعلق بسلام، أي: نسلم عليكم

٨٠٥ - أخرجه الطبري (٣٧٧/٧) رقم (٢٠٣٤٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٧٣/٣ - ٥٧٤) رقم (٦٧١٦).

وقال الحافظ في تخریج الكشاف:

(١) قال محمود: «المراد عاقبة الدنيا ومرجع أهلها... إلخ» قال أحمد: قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل «وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار»، «مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ»، «وَالْعَقِبَةُ لِلْمُؤْمِنِ» والمراد في جميع ذلك: عقبى الخير والسعادة، والزمخشري يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير أنها هي التي أرادها الله فهي الأصل والعاقبة الأخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والأصل لم يكن من حقها أن يعبر عنها إلا بتقييد يفهما كقوله «وَعَقَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» كل ذلك من الزمخشري تهالك على أن ينسب إلى الله إرادة ما لم يقع ومشيتة ما لم يكن مصادمة لما أنطق الله به السنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وليس في مجيء ذلك على الإطلاق ما يعين أنه الأصل باعتبار الإرادة، ففعله الأصل باعتبار الأمر، ونحن نقول: إن المؤدي إلى حمد العاقبة مأمور به، والمؤدي إلى سونها منهي عنه، فمن ثم كانت عاقبة الخير هي الأصل، والله الموفق.

(٢) أرى الوحش ترعى اليوم في ساحة الحمى بما قد أرى فيسيها أوانس بدنا يقول: أرى الوحش ترعى في ساحة الحمى في هذا الزمان، بدل ما كنت أرى فيها الأحبة، فقد أرى: حكاية حال ماضية، وقد لتقريبها. والأوانس: جمع آسة. والبدن: جمع بادنة، أي سميئة البدن.

ونكرمكم بصبركم.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾: من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول، ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾: يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا؛ لأنه في مقابلة عقبى الدار، ويجوز أن يراد بالدار: جهنم، وبسوءها: عذابها.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي: الله وحده هو يبسط الرزق، ويقدره دون غيره، وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم، ﴿وَفَرِحُوا﴾: بما بسط لهم من الدنيا فرح بظر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم، ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة، وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرأاً يتمتع به كعجالة الراكب، وهو ما يتعجله من تمرات أو شربة سويق أو نحو ذلك.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَرَادَ ﴿٢٧﴾﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي مَنَابِ ﴿٢٩﴾﴾

فإن قلت: كيف طابق قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾؟

قلت: هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم؛ وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيتها رسول الله ﷺ لم يؤتها نبي قبله، وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية، فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط، كان موضعاً للتعجب والاستنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم، وما أشد تصميمكم على كفركم: إن الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم، وشدة الشكيمة في الكفر، فلا سبيل إلى اهتدائهم، وإن أنزلت كل آية، ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ﴾: كان على خلاف صفتكم،

= أخرجه عبد الرزاق والطبري من رواية سهل بن أبي صالح عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان النبي ﷺ فذكره، وزاد كان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون ذلك. انتهى.

﴿أَنَابَ﴾: أقبل إلى الحق، وحقيقته دخل في نوبة الخير، و﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بدل من (من) أناب)، و﴿وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾: بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته؛ كقوله: ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته، أو تطمئن بالقرآن؛ لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: مبتدأ، و﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾: خبره، ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب، على تقدير حذف المضاف، أي: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا، وطوبى مصدر من طاب، كبشرى وزلفى، ومعنى: «طوبى لك»: أصبت خيراً وطيباً، ومحلها النصب أو الرفع؛ كقولك: طيباً لك، وطيب لك، وسلاماً لك، وسلام لك، والقراءة في قوله: (وحسن مآب): بالرفع والنصب، تدلك على محليها، واللام في (لهم): للبيان مثلها في سقيا لك، والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضممة ما قبلها، كموقن وموسر، وقرأ مكوزة الأعرابي: «طيبى لهم»: فكسر الطاء لتسلم الياء، كما قيل: بيض ومعيشة.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣١﴾﴾

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾: مثل ذلك الإرسال أرسلناك، يعني: أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات، ثم فسر كيف أرسله فقال: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أي: أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة، فهي آخر الأمم، وأنت خاتم الأنبياء، ﴿لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك، ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾: وحال هؤلاء أنهم يكفرون، ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾: بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء، وما بهم من نعمة فمنه، فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم، وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم، ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾: الواحد المتعالي عن الشركاء، ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: في نصرتي عليكم، ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾: فيثبني على مصابرتكم ومجاهدتك.

﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرَّتْ بِهِ أَلْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْقُ بَل لَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانَا﴾: جوابه محذوف / ١٧٩ب؛ كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك، وترتك الجواب، والمعنى: ولو أن قرآناً ﴿سُرَّتْ بِهِ أَلْجِبَالُ﴾: عن مقازها، وزعزعت عن مضاجعها، ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: حتى تتصدع وتتزايل قطعاً، ﴿أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْقُ﴾: فتسمع

وتجيب، لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف؛ كما قال: ﴿لَوْ أَرْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُمْ خَسِيعًا مُّثَصِّدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، هذا يعضد ما فسرت به قوله: ﴿لنتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ [الحشر: ٢١]، من إرادة تعظيم ما أوحى إلى رسول الله ﷺ من القرآن، وقيل: معناه: ولو أن قرآنًا وقع به، تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى، وتنبههم، لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه؛ كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا﴾ [الأنعام: ١١١]، الآية، وقيل: إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله ﷺ: «سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فتتخذ فيها البساتين والقطائع، كما سخرت لداود - عليه السلام - إن كنت نبياً كما تزعم، فلست بأهون على الله من داود، وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا، فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان - عليه السلام - أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا: منهم قصي بن كلاب^(١)؛ فنزلت (٨٠٦)، ومعنى تقطيع الأرض على هذا: قطعها بالسير ومجاورتها، وعن الفراء: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن، ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾: وما بينهما اعتراض، وليس بعيد من السداد، وقيل: ﴿قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾: شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً، ﴿بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾: على معنيين.

أحدهما: بل لله القدرة على كل شيء، وهو قادر على الآيات التي اقترحوها؛ إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه.

٨٠٦ - قال الزيلعي غريب بهذا اللفظ. تخريج الكشاف (٢/ ١٩٠).

وقال المحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده بهذا السياق، وقد روى ابن ربيعة عن أبي أسامة عن مجالد عن الشعبي قال: قالت قريش للنبي ﷺ: «إن كنت نبياً كما تزعم فباعد بين جبلي مكة - أحسبها هذين مسيرة أربعة أيام أو خمسة حتى نزرع فيها ونرعى، وابعث لنا آباءنا من الموتى حتى يكلمونا ويخبرون أنك نبي»، أو احملنا إلى الشام، أو إلى اليمن، أو إلى الحيرة، حتى نذهب ونجيء في ليلة كما زعمت أنك فعلت. فأنزل الله تعالى: ﴿ولو أن قرآنًا - الآية﴾، وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق عطية بن أبي سعيد قال: قالوا لمحمد ﷺ «لو سيرت لنا جبال مكة حتى تتسع فنحوت فيها، أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه الريح»، وروى أبو يعلى من حديث الزبير بن العوام يقول: «لما نزلت: «وانذر عشيرتك الأقربين» صاح رسول الله ﷺ: يا آل قريش، فجاءته قريش. فحذروهم وأنذروهم فقالوا: تزعم أنك نبي، وأن سليمان سخر له الريح والجبال، وأن موسى سخر له البحر، وأن عيسى كان يحيي الموتى. فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال وتنفجر لنا الأرض أنهاراً، فتتخذها محارث فنزرع ونأكل، أودع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا أودع الله أن يصير هذه الصخرة التي بجانبك ذهباً فننحت منها ويغنينا، قال: فبينما نحن حوله إذ نزل عليه الوحي. فلما سرى عنه قال: والذي نفسي بيده، لقد أعطاني ما سألتكم ولو شئت كان، ولكن أخبرني أنه إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم يعذبكم. فنزلت. انتهى.

والثاني: بل الله أن يلجئهم إلى الإيمان، وهو قادر على الإلجاء لولا أنه بني أمر التكليف على الاختيار؛ ويعضده قوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾ [الرعد: ٣١]، يعني: مشيئة الإلجاء والقسر^(١)، ﴿لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾، ومعنى: (أفلم ييشس): أفلم يعلم، قيل: هي لغة قوم من النخع، وقيل: إنما استعمل اليأس بمعنى: العلم، لتضمنه معناه؛ لأنَّ اليأس عن الشيء عالم بأنه لا يكون، كما استعمل الرجاء في معنى: الخوف، والنسيان في معنى: الترك لتضمن ذلك؛ قال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشُّغْبِ إِذْ يَنْسِرُونَ نِيَّيَ: أَلَمْ تَنِيَّاسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمٍ^(٢)

ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: «أفلم يتبين»، وهو تفسير: (أفلم ييشس)، وقيل: إنما كتبه الكاتب، وهو ناعس مستوى السيئات؛ وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمين عليه، لا يغفلون عن جلالته ودقائقه، خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية، ويجوز أن يتعلق (أن لو يشاء) بآمنوا، على: أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم، ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾: من كفرهم وسوء أعمالهم، ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهية تفرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا، والمصائب في نفوسهم، وأولادهم وأموالهم، ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾: القارعة، ﴿قَرِيبًا﴾: منهم فيفزعون، ويضطربون، ويتطايروا إليهم شرارها، ويتعدى إليهم شرورها، ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾: وهو موتهم، أو القيامة، وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله ﷺ من العداوة والتكذيب قارعة؛ لأن رسول الله ﷺ كان لا يزال يبعث السرايا، فتغير حول مكة وتختطف منهم، وتصيب من مواشيهم (٨٠٧)، أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم

٨٠٧ - قال ابن حجر: هو موجود في المغازي لابن إسحاق، والوادي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا منها سرية زيد بن حارثة ليلقى غير قريش وغيرها. وينظر «تخريج الكشاف» للزبيدي (٢/١٩٠ - ١٩٥).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

قلت: موجود في المغازي لابن إسحاق، والواقدي، وطبقات ابن سعد في عدة سرايا؛ منها سرية زيد بن حارثة ليلقى غير قريش وسرية علي الحر بن سعد بن بكر وغيرهما. انتهى.

(١) قوله: «أن لو يشاء الله يعني مشيئة الإلجاء» هذا عند المعتزلة دون أهل السنة (ع).

(٢) تقدم.

بجيشك، كما حل بالحديبية، حتى يأتي وعد الله، وهو فتح مكة، وكان الله قد وعده ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تَمَّ أَخَذَتَّهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾

الإملاء: الإمهال، وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن، كالبيمة يملى لها في المرعى، وهذا وعيد لهم، وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله ﷺ استهزاء به وتسلية له.

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَهَرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ هُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن

وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾: احتجاج عليهم في إشراكهم بالله، يعني: أفا الله الذي هو قائم رقيب، ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾: صالحة أو طالحة، ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: يعلم خيره وشره، ويعد لكل جزاءه، كمن ليس كذلك، ويجوز أن يقدر ما يقع خيراً للمبتدأ ويعطف عليه وجعاراً، وتمثيله: أفيمن هو بهذه الصفة لم يوحده، ﴿وَجَعَلُوا﴾: له، وهو الله الذي يستحق العبادة وحده، ﴿شُرَكَاءَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبوهم بأسمائهم، ثم قال: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾: على أم المنقطعة؛ كقولك للرجل: قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف، ومعناه: بل أتنبؤونه بشركاء^(١)، لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض، فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم، والمراد نفي أن يكون له شركاء، ونحوه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ يَبْظَهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ / ١٨٠: بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة؛ كقوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْرَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٩]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَيَّئُوهَا﴾، وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة^(٢) التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق

(١) قال محمود: «معناه بل أتنبؤونه بشركاء... إلخ» قال أحمد: وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء، وأن الله لا يعلمهم كذلك، لأنهم ليسوا كذلك وإن كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله، إلا أنها مربية حادثة لا آلهة معبودة، ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع، لا تكنه بلاغته وبراعته، ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان: وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء، فلم يكن بهذا الموقع الذي اقتضته التلاوة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وهذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها... إلخ» قال أحمد: هذه الخاتمة كلمة حق أراد بها باطلاً، لأنه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها، وما أسرع المطالع لهذا =

ذلق: أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه، فتبارك الله أحسن الخالقين، وقرئ: (أتنبثونه): بالتخفيف، ﴿مَكْرُهُمْ﴾: كيدهم للإسلام بشرهم، ﴿وَصُدُّوا﴾: قرئ بالحركات الثلاث، وقرأ ابن أبي إسحاق: «وَصَدَّ»: بالتنوين، ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ﴾: ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي، ﴿فَأَلَمِ مِنْ هَآؤِ﴾: فما له من أحد يقدر على هدايته، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن، ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر؛ ولذلك سماه عذاباً، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾: وما لهم من حافظ من عذابه، أو ما لهم من جهته واق من رحمته.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾: صفتها التي هي في غرابة المثل، وارتفاعه بالابتداء، والخبر محذوف على مذهب سيبويه، أي: فيما قصصناه عليكم مثل الجنة، وقال غيره: الخبر: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، كما تقول: صفة زيد أسمر، وقال الزجاج: معناه: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار، على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد، وقرأ علي - رضي الله عنه -: «أمثال الجنة»: على الجمع، أي: صفاتها، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾؛ كقوله: ﴿لَا مَقْطُوعَةَ وَلَا مَمْنُوعَةَ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿وَظِلُّهَا﴾: دائم لا ينسخ، كما ينسخ في الدنيا بالشمس.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾: يريد من أسلم من اليهود، كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما، ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران، واثان وثلاثون بأرض الحبشة، وثمانية من أهل اليمن، هؤلاء: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾، يعني: ومن أحزابهم، وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ بالعداوة، نحو: كعب بن الأشرف وأصحابه، والسيد والعاقب أسقفي نجران وأشياعهما، ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾؛ لأنهم كانوا لا ينكرون الأفاصيص، وبعض الأحكام والمعاني هو ثابت في كتبهم غير محرف، وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام، ونعت رسول الله ﷺ وغير ذلك مما حَرَفُوهُ وِبَدَّلُوهُ مِنَ الشَّرَائِعِ.

= الفصل أن يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته، لولا هذا التنبية والإيقاظ، والله أعلم.

فإن قلت: كيف اتصل قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ بما قبله؟

قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله ولا أشرك به، فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده، فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وألا يشرك به، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوِيٍّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقرأ نافع في رواية أبي خليل: «ولا أشرك»: بالرفع على الاستئناف كأنه قال: وأنا أشرك به، ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى: أمرت أن أعبد الله غير مشرك به، ﴿إِلَيْهِ أَدْعُوا﴾: خصوصاً لا أدعو إلى غيره، ﴿وَالِلَّهِ﴾: لا إلى غيره مرجعي، وأنتم تقولون مثل ذلك، فلا معنى لإنكاركم.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾
﴿وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٢٧)

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾: ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه، بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه، والإنذار بدار الجزاء، ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾: حكمة عربية مترجمة بلسان العرب، وانتصابه على الحال، كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يوافقهم عليها منها: أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوِّله الله عنها، فقليل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبهه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة، خذلك الله فلا ينصرك ناصر، وأهلكك فلا يقيك منه واق، وهذا من باب الإلهاب والتهيج، والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه، وألاً يزل زال عند الشبهة بعد استمسাকে بالحجة، وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الشكيمة بمكان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٢٨) ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٢٩)

كانوا يعيونه بالزواج والولاد، كما كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، وكانوا يقترحون عليه الآيات، وينكرون النسخ، فقليل: كان الرسل قبله بشراً مثله ذوي أزواج وذرية، وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم، ولا يأتون بما يقترح عليهم، والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات؛ فلكل وقت حكم يكتب على العباد، أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾: ينسخ ما يستصوب نسخه، ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته، أو يتركه غير منسوخ، وقيل: يمحو من ديوان الحفظ ما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل، ﴿وَيُثَبِّتُ﴾: غيره، وقيل: يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة، ويثبت إيمانهم وطاعتهم، وقيل: يمحو بعض

الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي، وسائر الحيوان والنبات، والأشجار وصفاتها وأحوالها، والكلام في نحو هذا واسع المجال، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ؛ لأن كل كائن مكتوب فيه، وقرئ: «ويثبت».

﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيَتَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٤٠)

﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ﴾: وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم، وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم، أو توفيناك قبل ذلك، فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب، وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم، فلا يهمنك إعراضهم، ولا تستعجل بعذابهم.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعٌ

الْحِسَابِ﴾ (٤١)

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾: أرض الكفر، ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾: بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام؛ وذلك من آيات النصر والغلبة، ونحوه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿أَفَهُمْ أَغْلِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٤]، ﴿سَرَّيْهِمْ أَئِنَّا فِي الْآفَاقِ﴾ [فصلت: ٥٣]، والمعنى: عليك بالبلاغ الذي ١٨٠ ب حملته، ولا تهتم بما وراء ذلك، فنحن نكفيك ونتم ما وعدناك من الظفر، ولا يضجرك تأخره؛ فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تبشير الظفر، وقرئ: «ننقصها»؛ بالتشديد، ﴿لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾: لا راد لحكمه، والمعقب: الذي يكرّ على الشيء فيبطله، وحقيقته: الذي يعقبه، أي: يقفيه بالرد والإبطال، ومنه قيل لصاحب الحق: معقب؛ لأنه يقفي غريمه بالافتضاء والطلب؛ قال لبيد [من الطويل]:

..... طَلَبُ الْمُعَقَّبِ حَقُّ الْمَظْلُومِ^(١)

(١) حتى تهجر في الروح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم
 للبيد بن ربيعة، يصف حمار وحش خرج في الهاجرة وراء أتان، وهاجها: أي بعثها على السير ونشطها لسرعة سيره في طلبها، كما يطلب المعقب المظلوم حقه ودينه ممن هو عليه، فالمظلوم بالرفع صفة للمعقب، لأنه فاعل في المعنى. ومعناه الذي رجع إلى حقه الذي كان أعطاه للمدين، فكانه رجع على عقبه، أو لأنه يعقب المدين ويتبعه.
 ينظر: ديوانه (١٥٥)، الإنصاف ١/٢٣٢، معاني الفراء ٢/٦٦، وابن السجري ١/٢٢٨، أوضح المسالك ١/٢٢٠، البحر المحيط ٥/٣٩٠، شرح المفصل لابن يعيش ٢/٤٦، الهمع ٢/١٤٥، الدرر ١/١٤١، التصريح ١/٢٧٨، الأشموني ٢/٤٧.

والمعنى: أنه حكم للإسلام بالقلبية والإقبال، وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، ﴿أُرْ سَكْرِيحُ الْحِسَابِ﴾: فعمّا قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا.
فإن قلت: ما محل قوله: «لا معقب لحكمه»؟

قلت: هو جملة محلها النصب على الحال، كأنه قيل: والله يحكم نافذاً حكمه؛ كما تقول: جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة، تريد حاسراً.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلْمُ الْكَافِرِ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: وصفهم بالمكر، ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره، فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾: ثم فسر ذلك بقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار﴾؛ لأن من علم ما تكسب كل نفس، وأعد لها جزاءها فهو المكر كله؛ لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون، وهم في غفلة مما يراد بهم، وقرئ: «الكفار»، و«الكافرون»، و«الذين كفروا»، و«الكفر»: أي أهله، والمراد بالكافر الجنس: وقرأ جناح ابن حبيش: «وسيعلم الكافر»، من أعلمه، أي: سيخبره.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: لما أظهر من الأدلة على رسالتي، ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾: والذي عنده علم القرآن^(١)، وما ألفت عليه من النظم المعجز الفاتت لقوى البشر، وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب^(٢) الذين أسلموا؛ لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، وقيل: هو الله - عز وجل^(٣) - والكتاب: اللوح المحفوظ، وعن الحسن: لا والله، ما يعني إلا

= لسان العرب ١/٦١٤، خزانة الأدب ٢/٢٤٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٣٣، المقاصد النحوية ٣/٥١٢، الدرر المصون ٤/٢٤٧.

(١) قال محمود: «المراد والذي عنده علم القرآن... إلخ» قال أحمد: فيكون المراد حينئذ: جنس المؤمنين.

(٢) قال محمود: «وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم، قال أحمد: فالكتاب على التأويل الأول مراد به القرآن خاصة، وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه.

(٣) قال محمود: «وقيل هو الله عز وجل، والكتاب، اللوح المحفوظ. وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إلا هو، شهيداً بيني وبينكم. وتعضده قراءة من قرأ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ على من الجارة» قال أحمد: وإنما =

الله، والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو، شهيداً بيني وبينكم؛ وتعضده قراءة من قرأ: «ومن عنده علم الكتاب»، على من الجارة، أي: ومن لدنه علم الكتاب؛ لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقرئ: «ومن عنده علم الكتاب»: على من الجارة، «وعلم»؛ على البناء للمفعول، وقرئ: «وبمن عنده علم الكتاب».

فإن قلت: بم ارتفع علم الكتاب؟

قلت: في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدّر في الظرف، فيكون فاعلاً؛ لأنّ الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول، فعمل عمل الفعل؛ كقولك: مررت بالذي في الدار أخوه، فأخوه فاعل؛ كما تقول: بالذي استقرّ في الدار أخوه، وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّغْدِ أُعْطِيَ مِنْ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ يَوْزَنُ كُلُّ سَحَابٍ مَضَىٰ وَكُلُّ سَحَابٍ يَكُونُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُؤَقِّينَ بِعَهْدِ اللَّهِ» (٨٠٨).

٨٠٨ - عزاه الزيلعي للثعالبي عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وعزاه لابن مردويه في تفسيره، كما تقدم إسناده في آل عمران، والواحد في تفسيره الوسيط، وينظر حديث (٣٤٦).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
تقدم إسناده في آل عمران. انتهى.

= قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذي يستحق العبادة، حذراً من عطف الصفة على الموصوف، وعدولاً إلى أنه عطف إحدى الصفتين على الأخرى تقديراً وإنما أخذ الحصر حيث يقول: ومن لا يعلم علم الكتاب إلا هو من أنه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه، وشأن الزمخشري أخذ الحصر من التقديم، والله الموفق للصواب.